Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

صورة مملكة الجرمة في ليبيا القديمة من خلال الآثار المادية و المصادر الأدبية

The picture of the Kingdom of Jarma in ancient Libya through the Physical effects and literary sources

خاتمي مصطفى~Khatmi Mustapha أم الخير العقون Laagoun oumelkheir
جامعة وهران 1 -أحمد بن بلة . Université Oran1 Ahmed Benbella
khatmi.mustapha@edu.univ-oran1.dz oumelkheirlagoun@ymail.com
المؤلف المرسل : خاتمي مصطفى~Khatmi Mustapha khatmi.mustapha@edu.univ-oran1.dz

تاريخ الاستلام : 2019-08-17 تاريخ القبول : 2019-11-30

ملخص:

من هم الجَرميوُن ؟ هو سؤال الذي فرض نفسه إذ ما رجعنا إلى المصادر الأدبية القديمة التي كتبت عن هؤلاء الأقوام التي سكنت جنوب الصحراء اللّيبية لم نجد سوى مجرد شذرات من فقرات في كتابات هيرودوت وبلين الأقدم، وسترابو و بومبونيوس وبطليموس، ولهذا وجب علينا تعمق أكثر في هذه الكتابات وإستنطاق العديد من النحوت و النقوش والرسومات الصخرية في جنوب اللّيبي والشرقي من الجزائر والذي يعد محور الدراسات في الصحراء الوسطى كونها الوعاء الحضاري الذي شهد تميزاً للمملكة جرمة رغم أن الصورة العامة لم تزل غير مكتملة الجوانب في صحرائنا وعلى ضوء الإكتشافات الجديدة فإنا البحث عن الجرميين قد بدأ فعلا وبشكل جدي.

الكلمات المفتاحية: الجرميون – الفن الصخري – العربات – النقوش – فزان – الفخار.

Abstract :

Who are the Garamantes? This is a question which imposed it self, as we returned to the ancient literary sources written about these people who lived in the sub-Saharan Libyan and Algerian, we found only fragments of paragraphs in the writings of Herodotus and Pline the Great, and Strabo and Pomponius Mela and Ptolemy, so we must deepen in these writings And the extension of many of the scribes, inscriptions and rock paintings in the south of the Libyan and eastern Algeria, which is the center of studies in the Central Desert as a cultural vessel, which has distinguished the Kingdom of Germa, although the overall picture is still incomplete aspects in our Sahara and in the light of new discoveries, The Garamentes have already started and seriously .

Keywords: Garamentes- Rock Art – the cart - Inscriptions - Fezzan - Pottery

1 المقدمة:

تعتبر حضارة الجرمية أول حضارة ليبية أصيلة وعريقية في بلاد المغرب القديم، جيث عاش هؤلاء في بيئة صحراوية وموقعاً متميزاً في وادي الآجال بفزان كان ذو أهمية إقتصادية كبيرة هيأ لهم سُبل الإتصال بالشمال والجنوب، كون هذه المملكة عاصرت الحضارتين الإغريقية والرومانية في الفترة الممتدة من 500 ق.م إلى غاية 642م.

وترجع أهمية البحث كونه يهتم بفترة مهمة ساهمت وأبدعت في تاريخ الصحراء في شمال الغربي من قارة إفريقيا، كما يلقي الضوء على الجرميين كمملكة لها أهمية واضحة فقد جاء ذكراها عند الكثير من المؤرخين الذين صوروها من وجهة نظرهم الخاصة الذي أخضعناها للتعليل والتحليل وربطها مما هو مستدل به من الشواهد الآثرية و الإكتشافات الحديثة بينت لنا أن حضارة جرمة موغلة بالقدم ليس فقط منذ تشيد حاضرتها في المنتصف ألف الأولى قبل الميلاد بل ظهرت ملامحها مع العصر الحجري الحديث بالرغم من الجفاف الذي أصاب الصحراء مع ألف الثانية قبل الميلاد، فإن وادي الأجال ظل الموطن الأساس للجرميين كونه شهد بيئة مناخية مختلفة نوعا ما عما عليه

حالياً ، ومع القرن السادس ق.م سيطر الجرميين على كل الطرق الصحراوية وأصبحوا سادتها رغم وجود قرطاجة كقوة عالمية أنذاك فقد فضت أن تتعامل معهم واكتفت بدور الوسيط التجاري ، فنقلت منتوجاتهم نحو العالم القديم.

يبدوا أن الجرميين قد حققوا ثروات هائلة دللت عليها مخلفاتهم الأثرية مكنتها من تأسيس الحاضرة وربطتها علاقات مع بقية الشعوب الأخرى كالمصريين واليونان والرومان حيث دونت أخبار الجرميين عندهم وذكرت الصفات والسمات وبعض النواحي الإجتماعية والسياسية و الإقتصادية جاءت مكملة للكشف الآثري الحديث بينت إلى حد ما النضج الحضاري وللأرث الأصيل، جعلت الباحث يختار تلك الدراسة الشاملة من أجل تقصي صورة الجرميين أثرياً وأدبياً ، وهي دراسة قد أغفل عنها الباحثون وتناسوا جوانب منها، ولهذا إخترت هذا الموضوع للدراسة.

تطرقت في بداية إلى تحديد التموقع الجغرافي للمملكة بين الإمتداد والتقلص، ثم تناولت تاريخ أبحاث حول هذه المملكة ، كما عرجت إلى نقطة مهمة وهي تحديدالإشتقاق للمصطلح الجرمة و ذكر أصولهم مابين النظريات المحلية والأجنبية وأماكن سكناهم.

ثم شملت الدراسة ذكر الجرميون من خلال الأثار المادية : من النصوص المصرية القديمة، والتقائش الليبية و اللاتنية كما لا نتغافل عن مصدر مهم والأساسي وهو الفن الصخري بأطواره في منطقة الصحراء الوسطى القديمة، أما المصادرالأدبية جاءت متنوعة على حساب الحضارة لتي إحتكت مع الجرميين كالإغريقية أو الرومانية وحتى العربية التي شهدت أفل مدينة جرمة، كما تناولت الخاتمة أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث.

2 الإطار الجغرافي و التاريخي للمملكة جرمة.

2.2 التموقع الجغرافي للمملكة بين الإمتداد و التقلص:

يعتبر حوز جرمة من أهم المناطق في فزان بصفة خاصة وفي الصحراء الوسطى بصفة عامة، كماّ لا يمكنا فصلها عن منطقة الغات و طاسيلي ناجر بل هي إمتداد الحضاري لها، ويشكل إقليم فزان معقل قبيلة جرمة[1] (الزدام نجلاء عبد الله، 2009،ص.07.) ، ويحدد هذا الإقليم من ناحية الشمال يتبع للحمادة الحمراء و يتلاقى بزاوية مع الهروج جبل السودة، أما هضبة تبستي تشكل الركن الجنوبي له، ومن الشرق الهضبة بالهروج الأبيض و الأسود، أما غربا فإنها تتلاصق مع هضبة طاسلي (أيوب محمد سليمان، مختصر، ب.ت،ص.11.).[2]،(الخريطة لشكل 01)

كما يتمتع موقعه بأهمية كبيرة كونه غني بالواحات ممّا جعله أهم المراكز الصحراوية وأكثرها إستقراراً، وكثافة سكانية، حيث تساهم تلك الواحات في تلطيف درجة الحرارة كما تقلص من مساحة الأراضي القاحلة، والصحراء الصخرية بين العرق الكبير، والحمادة الحمراء (الزدام نجلاء عبد الله،2009،ص.08.)[3].

ومن عمق الفزاني يمكننا تحديد موقع إقليم جرمة في المنطقة الممتدة من جبال تبستي جنوباً بين خطي (22°-29°، 08°- 19°) شرقاً، أي جنوب الحمادة الحمراء في المنطقة الواقعة بين بحر الرمال في إدرى ومرزوق، حيث نرى مجموعة من الواحات[(4)] التي تمثل مستوطنات القبائل الجرامنت (الزدام نجلاء عبد الله،2009،ص.08.) [5]،(الخريطة لشكل02).

أما الديناصوري (ج.د) في جغرافية فزان يرى أن محورية الأرضية للجرميين تقترب من الساحل الشرقي لمدينة لبدة الكبرى، ولها إمتداد فسيح قرب أوجلة شرقاً و التي تضم واحات الكفرة، و العوينات الشرقية أما من ناحية شمالية الشرقية يحدها سلسلة من الجبال تمتد إلى الجنوب من واحات الجفرة، والمعروفة باسم جبال السوداء وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وتتصل بالحمادة الحمراء وتسمى مرتفعات جبال فزان ، أما غرباً فتمتد من غدامس وتتعرج بسهول الجفارة عبر سلسلة جبلية تسمى بجبال الحمادة الحمراء التي تنحدر نحو الجنوب تنتهي بالحوض وادي الشاطئ (الديناصوري جمال الدين ، ب.ت،ص.61.)[6].

أما بالنسبة للركن الجنوبي حيث تتواجد سلسلة طاسيلي نانجر تتفرع منها سلسلتان داخل الإقليم، ويمتد الغربي منها شرقي غات حتى شمال قرية "سرديلس"، وهي ما يعرف باسم مرتفعات تادرارت، وإلى الشرق تقع سلسلة جبال الأمساك وتنقسم إلى قسمين أمساك بيضاء في ناحية الجنوبية و أمساك السوداء الواقعة في الشمال، ويقتربان من وادي لآجال غربي

أوباري ثم يغير مسار إمتدادهما نحو الغرب و الشرق وبذلك تفصل وادي الأجال عن وادي برقوق وتسمى بحمادة مرزوق وإلى الشرق من هضبة طاسيلي تمتد جبال تبستي التي تفصل ليبيا عن النيجر وتشاد (الزدام نجلاء عبد الله،2009،ص.09.)[7].

دلت المكتشفات الأثرية بأن مملكة جرامنت متألفة من ثلاثة أحزمة من الواحات، والتي ذكرناها فيما بين الحمادة الحمراء وبحر الرمال الذي يمتد من اوباري حتى مرزوق (أيوب محمد سليمان، جرمة،1986،ص.12.) [8]،وقد اوضح هيرودوت بأن موطن الجرامانيون يوجد بتل ملحي على مسيرة عشرة أيام من أوجلة(هيرودوت، الجزء الرابع، الفقرة،183) [9]، ومن مسافة نفسها عن الأطرانط [10]، وعلى مسيرة ثلاثون يوماً من موطن اللوطوفاجيين (أكلة اللوتس) (هيرودوت، الفقرة 184.) [11].

أما سترابون يقول ان الجرامانيون يبعدون عن الأثيوبيين المجاورين للمحيط برحلة (مسافة) تسعة أو عشرة أيام،وعن أمون يبعدون خمسة عشر يوماً (سترابون، الفصلل الثالث، الفقرة 19.)[12].

وفي الأخير نقول أن بلاد الجرامانت تقع في وادي لآجال (وادي الحياة) وما بين وادي الشاطئ وبرقوق، على بعد 1000 كلم2 جنوب مدينة أويا (ويات).

2.2 تاريخ أبحاث حول المملكة الجرمية:

تعتبر الرحلة الإسكتلندي ولتر أويني في مطلع القرن الثامن عشر من أولى الإرهاصات الأثرية في منطقة فزان، حيث لاحظ مجموعة من الجبانات ومنازل طينية عتيقة في منطقة وادي الآجال(أيوب محمد سليمان،1986،ص.67.) [13]، ترجع أولى الإكتشافات للرسوم والنقوش الصخرية في العالم في منطقة فزان عام 1850 وذلك على يد الرحالة الألماني هانريتش بارث (Brath.H) عندما قام بتنصيب خيام معسكره بوادي تليزاغن المنعزل في إقليم فزان بنواحي مرزوق حينما عثر صدفة على صور كبيرة الحجم منقوشة على ضفاف الوادي الصخرية الوعرة التي يصعب الوصول إليها وقد نشرها في كتابه (Voyage et decouvertes dans l'afrique septentrionale et Central)، وقدم فيه وصفا دقيقا لبعض نقوش وادي البرجوش) (جرزيوري،2008،ص.18.)[14]. وبعد ذلك بتسع سنوات حاول الرحالة الفرنسي دوفريه (Duveyrier) عمل دراسة كاملة على منطقة جرمة وتعتبر ذلك أول مدونة علمية تنجز حولها، إلا أن الإكتشافات الأثرية المنهجة قامت بها أفراد البعثة الجغرافية الإيطالية وذلك في الفترة مابين (1935م-1930م)، حيث وجدوا بجرمة مقبرة تحتوي على أكثر من 60 ألف قبر، وعند دراسة هذه الآثار إستنتج علماء الآثار الإيطاليون ومن بينهم سيرجي، وكابيتو بوجود علاقة وروابط ثقافية مباشرة بين الجرميين وشعب الطوارق الذي يقطن الأجزاء الشرقية من الصحراء الوسطى حالياً (أيوب محمد سليمان،1986،ص.67-87.)[15].

أما البعثة الفرنسية التابعة لمعهد البحوث التونيسية قامت بزيارة فزان وقدمت عدة حفريات مهمة في وادي الآجال سنة 1939 وكانت تحت إشراف بيير بلير (Bellair.P.) وجاء في تقريرها كالتالي:

" يسمى وادي الآجال بشارع الجبانات، وترجع أغلب هذه الجبانات إلى عمل الجرامنت، ووادي الآجال في الحقيقة تقع بين ضحراء الأرح شمالاً وجبال الحمادة جنوبا وعلى إمتداد حوالي مائتي كيلومتر، يوجد عدد كبير من القبور من بينها جبانة الحطية (الشكل 37)، ويشاهد أيضا عدد كبير من الفقارات التي تمتد من سفح الحماد الصخرية إلى بطن الوادي وقد أمكن العثور على مواقع كثيرة للصناعات النيوليتية خاصة بالقرب من بنبيا (benbia) وقد قدر عدد القبور بستين ألف قبر..." (أيوب محمد سليمان، 1986،ص.91.)[16].

ولعل من أهم الأعمال الأثرية قامت بها مصلحة الآثار الليبية بفزان وتحت مسؤولية محمد سليمان أيوب، حيث قدم هذا الأخير دراسة معنونة ب: ليبيا في التاريخ صدرت في بنغازيّ، ثم تلتها أعمال يشهد بنتائجها وهي دراسة التي أنجزها الباحث تشالز دانيلز عام 1959 بدعوة من إدارة الآثار الليبية بجرمة وأمضى أسابيع في دراسة أثار وادي الأجال كما أنجز حفريات في زانككرا وسانية جبريل وبجرمة القديمة.

أما الأخر أبحاث الأثرية هو ما قام به مؤخراً مجموعة من علماء الآثار البريطانيين بقيادة دافيد ماتنجلي حيث إستفاد

هذا الأخير في أبحاثه من إستخدام صورعبر الأقمر الصناعية ونشر نتائج أبحاثه الميدانية في مصنفة عنوانها: The Archeology Of Fezzan، وقد أثبت بوجود كيان سياسي قائم والمعروف بمملكة جرمة (أيوب محمد سليمان،1986،ص.91.)[17].

3.2. طبونيمية جرمة.

الأصّح في نُطق الجرامانيّون وليس الجرامنتيون أو الجرامانتيس (Garamantes)، وذل بالإستغناء عن اللاحق الإغريقي (أنتس – Antes)، فالقاعدة المُتبعة في نقل الأعلام الإثنية والجغرافية تتمثل في إقصاء اللواحق الأجنبية التي أدخلت على الجذور وصبها في قوالب عربية (أعشي مصطفى، 2009،ص.62.)[18]، وهناك من ينطقها بجرمنت (Garmente) أو جرامنت (Garamante) وهناك من ينسبه إلى تسمية العاصمة (Germa) وهذا خطأ لأنه في الأصل جرامان (Garamen) بدون اللاحق الإغريقي. و يعد هيرودوت الإغريقي هو أول من ذكر الجرامانيين تحت تسمية (Gramantes) ويرى ديزانج (.Desanges.J)، أن هذه التسمية الإغريقية التي أوردها لنا هيرودوت لها علاقة أن هذا شعب من بناة المدن (Desanges,2011 http://encyclopedieberbere.revues.org)[19].

وجاءت تسمية الجارامانيين عند الرومان كبليني وسترابون وبومبيوس تحت تسمية (Gempheantes) أي تم ربط تسمية (Germa) بفزانيا (Phezaniae) وهي أول مرة تأتي بهذه الصيغة ، على أساس أن جرامانيين من سكان فزانيا، حيث جاءت هذه التسمية عند المؤرخين الرومان على أساس سكان الكهوف المتخلفين.، ويجدد بلينوس في كتاباته الأخرى بتسمية (Gramentius) وهو نفس الإصطلاح نجده عند ديودور الصقلي، أما من الجانب الأثري نرى أن (Rebuffat) الذي نقب في أحد معسكرات الليمس (بونجيم بنواحي شمالية للفزان) حيث عثر على نقيشة اللاتنية مكرسة في عدة كلمات هي: عبر عدد من الجارامانتس في مهمّة يسوقون حميرا (Rebufat (R.),1979,p.226.)[20] (GARAMANTES DVCENT ASINVS).

يرى الباحثين في دراسات عديدة أن الإسم الجرامانت ذو لفظ أجنبي، لكنه في حقيقته إسم ليبي، فهذا (Camps.G.) يرى أنّ معنى الجرامانيين يدل على سكان المنازل، لأن الجذر أغاغام (Arharham) يدل على الدار – البناء، ومنها على ما يبدو ، جاءت الألفاظ إيغرم (القلعة)، وتغرمت (القرية)، أث تغرامت (أهل القرية)، أما الجذر أغاغام جذر ليبي منتشر بين كل الليبين، وأن الأطلال الكثيرة يتضمنها وادي الآجال تؤكد صحة هذه الفرضية المحلية التي لقت قبولاً، وتبعا إلى أهمية آطلال السّكن وإلى المدافن والبنايات المتنوعة التي توجد بوادي الآجال، في قلب الجرامانيين(Camps (G.),Op.Cit.p.26)[21].

وحسب (أُعشي .م) أنه من المرجح أن تسمية الجرامنيين لها بعد ديني، وكانوا من عباد الرب أمون لأن إسمهم، على ما يبدوا، يتكون من شقين: جر بمعنى حقل باللغة الليبية و أمن (أمون) الرب أمون، ومعنى أكرامن (الكرامنيون) حقل أمون أو في حمى أمون (أعشي مصطفى، 2009،ص.62.)[22].

4.2. إشكالية الأصل:

يندر أن تجد أقواماً قد جرى البحث في أصولها من الإجتهاد والتلفيق يقدر ما حدث مع البربر، و من بينهم الجارمانيين، فقد كانت الروايات تتداول عنهم من أقدم العصور لدى رواة الأساطير وفي أوساط العلماء، ويشير الباحث ابريطاني دانيلز (Daniels) إلى أن الجارامانين أمة لا تعدوا كثيراً ححد الرمز و الخيال، وأنهم أقوام لم يعرفوا تعريفا كاملا من حيث الأصل والنشأة، عاشوا في منطقة مبهمة ومملكة أسطورية وفي مدة م الزمن غير محددة (تشالز دانيلز،1974،ص.08.)[23]، ويرى أيضا (أيوب محمد سليمان)، أنه لم يتوصل إلى الآن إلى معرفة أصل الجارمانيين ولا الموطن الأول لهم، كما أننا لا نعرف على وجه التحديد الزمن الذي جاؤو فيه إلى فزان، ولقد قدم الذين أولوا الموضوع بعض العناية عدة إحتمالات عن أين جاء الجارامانيين والزمن، على وجه التقريب، الذي ظهروا فيه في جنوب ليبيا (أيوب محمد سليمان،1986،ص.131.)[24]، وفضلا عن ذلك هنالك إشارات من مؤرخين قدامى لسكان جرمة فمنهم من يرى أصلهم من شعوب البحر حسب رويات الكاتب السكندري أبولونيوس الرودسي (أيوب محمد سليمان،1986،ص.31.)[25]، وهناك من أشار بأن أصلهم من فلسطين قدموا إلى مصر (حجازي عبد الناصر،1990،ص.64.)[26]، بينما وجد فريق أخر بأن أصلهم من

واحة سيوة ، وقد هاجروا خوفا من الغزو الفارسي (حجازي عبد الناصر،1990،ص.64.)[27]، ولكن من المحتمل أن يكون أصل الجرميين من أصل ليبي، ولقد أكدت بعض الدراسات العلمية التي أجريت حولهم من بقايا العظمية في المقابر الجرمية تبين أنه فيه أوجه الشبه بينهم وبين سكان جنوب ليبيا حاليا، وإلى الشبه القائم بينهم وبين قبائل الطوارق المعاصرين لهم، كما وجد البعض بأن هنالك أصلاً مشتركا بين الجرميين وبين مجموعة (ج) (مراجع حسين عبد العالي،ب.ت،ص.35.)[28].

ومما يلاحظ بأن تلك المجموعة (ج) حسب إعتقاد البعض بأنها ليبية الأصل، وتعود في أصولها إى قبائل (التمحو) ، نظراً لوجود الآثار المشتركة فيما بينهم، وفي مستخلص هذه الأراء نراها تفتقر إلى المزيد من الأدلة التاريخية والآثرية، ولذلك من الصعب علينا أن نأخذ برأي معين من هؤلاء عن أصل الجرميين.

3 الجرميين من خلال الآثار المادية:

1.3. إستنطاق الملامح الجرمية من خلال الفن الصخري:

وتعد الرسوم الصخرية أو اللوحات التي تركها الأقدمون على جدران الصخور من المصادر المهمة التي نعتمد عليها لحد بعيد في رسم صورة الحياة بجرمة من عصور ماقبل التاريخ حين كانوا يسطرون على سطح الصخور التي عاشوا بجوارها مظاهر حياتهم اليومية و الحيوانات التي عاشوا معها بكل أمانة ودقة وسطروا لعضها عن طريق الحز بألة حادة أو بالرسم بالألوان سواء باستعمال ألوان الشخر المختلفة لإظهار الأشكال أو باستعمال الأصباغ الملونة (أيوب محمد سليمان،1986،ص.65.)[29]، وقد بدأت عناية العلماء بتسجيل هذه الرسوم بفزان سنة 1914 حيث نذكر كورادو زولي (Corrado Zoli) الذي يعد أول إيطالي يعثر على بعض النقوش في وادي الأجال، وتضاعفت في العشرينات من القرن الماضي عمليات البحث عن المخلفات فنية تعود إلى أدوار ماقبل التاريخ[30]، خاصة في مناطق جرمية مثل وادي الشاطئ ووادي الآجال الذي كان موضوعي بحث من قبل الإيطاليين بصفة خاصة قبل الحرب العالمية الثانية بسنوات وفي جزء الشمالي من فزان توجد محطات وادي زقرة ووادي مسعودة الهامين وقد درسهما جرازيوسي وحققهما باهتمام ومع سنة 1932 (جرزيوري باول،2008،ص.35.)[31].

قام فروبنيوس (Frobenius) بتوثيق الرسوم التي عثر عليها قرب عاصمة الجارامانيين في وادي متخندوش والوريروتبني إبتير وهي الأودية التي تصب في وادي برجوج الواقع للغرب من مرزوق، كما أضيف سنة 1955 محطة كبيرة في فضاء تادرارت الأكاكوس بقيادة فابريتسيو موري (جرزيوري باول،2008،ص.35.)[32].

على العموم تعد البحوث التي قدما الباحث الأيطالي جرزيوري أروع ماتم في هذا الحقل الفني، إذ قام ذلك بزيارات مختلفة من فزان من سنة 1933 وقام بإجراء دراسات لخصها في كتابه (Rock Art in the libyan sahara) وقسم الرسوم الصخرية إلى عصور مختلفة وهي نفسها التي عززت بدراسات الباحث موري و موزيليني و جون لوكيلاك كأخر تحديث إلى يومنا هذا (الشكل 03) وتتمثل في:

أ. رسوم نقشت خلال عصر الصيادين (Bubalius):

يعتبر مجتمع الصيادين أول التجمعات البشرية التي إستقرت في منطقة الصحراء الوسطى، ويصعب جدا إعطاء تاريخ بدايتها وحتى نهاية فترتها، أرخت (العقون أ.ح) لهذه المجتمعات في حدود 6000 ق.م وتعتقد أن نقوشهم وحدت محقورة على واجهات الصخور و تتمثل في الحيونات المتوحشة والحيوانات البرية التي كان الصيادون يقومون بصيدها (العقون أم الخير،1988،ص.112.).[33]، وتشمل هذه الرسومات مناظر للرجال قصر القامة ويرى جرزيوري أن أقدم هذه الرسومات هي التي تمثل الحيونات البحرية مثل فرس النهر و التمساح وهي من الحيونات التي عاشت في فزان عندما كان مناخها شبيها بمناخ المناطق الإستوائية أي قبل ستة آلاف سنة تقريبا قبل الميلاد (جرزيوري باول،2008،ص.42.).[34]، ويرى فابريزيو موري أن أحسن الأمثلة هي النقوش التي عثر عليها في وادي متخندوش وو ادي تليزاغين (الشكل04).

ب. رسوم نقشت[35] خلال عصر من ذوي الرؤوس المستديرة: (Les tétes rondes)

يرى فابريزو موري أن هذا الدور الذي سبق زمنيا الفترة الفنية التي رسمت فيها القطعان الكبيرة من الثيران و الأبقار (Bovidienne) وهو غني جدا بأعمال الرسم في جل نواحي جرمة وتادرارت الأكاكوس ومساك ولا يمثله إلا عدد قليل من النقوش ولا نستطيع أن قدم من الأكاكوس سوى نموذجا واحد لا نستطيع أن نستخلص معطيات كثيرة منه (فابريزيو

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363 مجلد 12عدد 1 جانفي 2020 السنة الثانية عشر

موري،1988،ص.92.)[36]، والظاهر أن الأسلوب الرسم في هذا العهد لا يخلوا من رصانةفقد رسم الحيوان جانبيا ووضعت القوائم في مستوى واحد أما جسم الأنسان فقد رسم بكفاف متتابع وظهر الرأس في شكل يميل إلى الإستدارة و الحلزونية (الشكل 05) وأول من أشار إلى هذه التسمية القس (L'abbé.B) لكن هنري لوط هو من ساهم بالؤوس المستديرة (بن بوزيد لخضر،2009،ص.18.)[37]،و يفسر موزيليني هذه تقنية ذو رسومات أحادية بأنها تمثل سيطرة تامة للجوانب الدينية السحرية أما المشاهدها الكلية مختلفة عن الأسلوب الواقعي مقارنة بالمرحلة السابقة (.Muzzolini (A.),1991,p.43)[38]

ت. رسوم نقشت خلال عصر الرعاة (Pasteur) :

وهي فترة طويلة من الزمن يظهر فيها الرعاة ،وهم يقودون قطعانا من الأبقار الطويلة القرون الشبيهة بالأبقار التي تعيش في السودان الآن وهي فترة يرى جرزيوزي بأنها تبدأ عندما بدأ الطقس في فزان يتحول إلى ما يشبه مناخ السودان الأن، ويظهر فيه الرعاة الذين يمثلون عادة طوال القامة شديدي التزنج أكثر شبهاً بسكان السافانا الآن ويظهر بأن هؤلاء القوم قد حلوا محل الصيادين القصر القامة (أيوب محمد سليمان،1986،ص.79.)[39] ، كان من الضروري لدى الباحثين أن يضبطوا المدة الزمنية للفترة الرعوية، حيث ترى (العقون أ.م) أن هذه الفترة تمتد من 5500 سنة ق.م إلى غاية 1200 سنة ق.م، وتستنتج من هذا التاريخ من خلال إستقراء الرسوم الصخرية المتنوعة في الصحراء الوسطى أن قدوم الرعاة للمنطقة قد يكون في حدود 4500 ق.م (العقون أم الخير،1988،ص.112.)[40]

ث. رسوم نقشت خلال عصر الجرميين:

وهي تمتاز بالنقوش التي تمثل العربات والجياد كما أن الأشكال التي تميّز الأشخاص قد رسمت على شكل المثلثين المتقابلين من الرأس ، ويرى جوزيوزي أن هذا الفن من نتاح الجارامان ودون العديد من الرسوم التي تمثل هذه المدرسة في جهات مختلفة من الصحراء الليبية وبعضها في أماكن بعيدة مثل وادي زجرا وتين عوينان الواقعة شمالي وادي الشاطئ (الشكل 06) وبعضها في جبل بن غنيمة الواقعة للجنوب من فزان (جرزيوري باول،2008،ص.63.)[41].

ج. رسوم ونقوش ترجع لعصر الجمالة أصحاب التيفيناغ (Camilius):

وهي الأشكال التي تمثل الجمال وراكبها ويصاحب هذه الرسوم الأخيرة في العادة كتابات بحروف التيفيناغ (الشكل 07) ويرى جرزوري بأنها ترجع لعصر الحديث نسبيا ويتميز الأسلوب في هذه المرحلة ببساطة يصور أصحابها على شكل تثليث متقابل (جرزيوري باول،1988،ص.59.)[42]، يرحعهما كامبس (Camps.G) إلى السلالات البيضاء أو بتعبير أدق الليبين كما تكون الزرائب دائرية أو مستطيلة الشكل ، وتستعمل تقنية المساحة اللونية الحمراء والبيضاء تماما مثل أسلوب المرحلة السابقة(الحصان) (كامبس غابريال،2014،ص.104.)[43].

2.3. الجرميين من خلال النصوص المصرية القديمة:

من المصادف أن الطوارق في الجرمة يسمون أنفسم بتماحق ،تأييد الأحتمال بوجود سمات جارامانتية يرى العديد من الباحثين حول الجنس المهزوم في موضوعات نقوش صلاية الأسد والعقبان والذي يعفوا بالتمحوا إذ يرجع أنهم من اهل الحواف الصحراء الليبية حيث يقربهم جاردينير من ملامح الجارامانتيين كون العلامة التصويرية التي كانت بجانب الأمير الليبي الذي يدفع أسير عرفت (بتامخيت) وتعني بأرض الجنوب ومن المرجع أن بعض سكان من غرب النيل وقفوا في وجه الليبين القادمين من الصحراء الغربية بفعل الجفاف (صالح عبد العزيز،1962،ص.191.)[44].

واعتمادا على أن التمحو ظهروا على مسرح التاريخ خلال الألف الثالثة ق.م وذلك في عهد الأسرة السادسة التي تعاصر حلول فترة الجفاف الثابت جيولوجيا لدرجة جعلت بعض الباحثين يعتقدون بوجود ارتباط بين التمحو والأقوام التي سكنت فزان (مصطفى عبد السليم،1966،ص.09.) [45]، إذ ليس من المستبعد إحتمال أن يكون أولئك هم الرعاة قد تركوا أوطانهم تحت ظغط الجفاف إلى جهات تيسرت فيها الحياة شرقا إلى النيل وهذا مابينته رسومات تادرارت الأكاكوس ومساك وزنكيكرا جنوب جرمة عن مشاهد للهجرات وردم الأكواخ المتنقلة وتحميل الأبقار كلها تدل على رحلة كانوا يقومون بها

هؤلاء نحو الشرق حسب مسارات تلك الرسومات من الأقدم إلى الأحدث (الشكل 08)

ومما يدعم رأيي أن الجاراماان هم التمحو نأخذ بما قاله (Doguinot) بأن هناك منطقة تقع بين هضبة طاسيلي وتيبستي تسمى حتى اليوم (Tammo) وهي شديدة الشبه بالفظ التمحو الوارد في النصوص القديمة (Camps (G.), *le 05 juin 2019. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/765*)[46]، أضف إلى ذلك بأن الطوارق يطلقون على أنفسهم تماهق (Tamahaque) وهي تسمية يختلف يختلف في نطقها من منطقة إلى أخرى فنجد تماشك أو تماجك أو تماحك عند الطوارق فزان ومن هذا المنطلق هل يكون تماحك فزان هم قبائل التمحو معروفين في النصوص المصرية؟

وقد يبدوا هذا التساؤل جدير كون التسميات التي إستعرضتها تشترك في مقطعها الأول (Tama) ولدينا تغير واحد يطابق لها تماما عند الطوارق تماحك (Tamaheque) وإسم تما في نظرنا هو من بقايا التمحو وهذا بطليموس يؤكد أن الجارامانيون ينتشرون من فزان إلى شمال نوبة، وقد نجد سندا لهذا القول في تلك العلاقة بين الجاراامانيين سكان فزان وسكان شمال النوبة حيث يشتركون في بعض العناصرمنها:

أ. ظهور رسوم للماشية في دارفور تشبه ماشية فزان والتي حدثنا عنها هيرودوت أنها ترعى وتمشي تقهقري بسبب إنحناء قرونها إلى الأمام.

ب. ظهور رسومات لراكبين الخيول في فزان مشابهة لرسومات في السودان

ت. طريقة الجرامنت في رسوم الأشكال الإنسانية بمثلثات مزدوجة وهي طريقة تظهر في بعض الرسومات الإنسانية بالنوبة.

ث. ظهور مميزات الليبين الشرقيين وصفوا بالتمحو على الآثار المصرية ومنها خضلة الشعر و الذيل في المؤخرة والريشة وجراب العور نفسها موجودة في الأكاكوس و فزان وفي بعض رسومات النوبة.

وفي الأخير نستنتج أن العناصر التمحو تساند بقوة الرأي بأنهم لجارامانيين المعروفين في المصادر الأدبية والرسومات فهؤلاء التمحو المعروفين جنوب مصر هم نفسهم (الأقوام ج.) بالنوبة ونفسهم الجارامانيون بالفزان وجبال طاسيلي بالصحراء الوسطى وأن مثل الإنتشار بالصحراء الليبية من مواطنهم إلى مسافات بعيدة شرقا حتى وادي النيل نجد له دليلاً أن قبائل القرعان الحاليين في دارفور حتى الصحراء التي تحد وادي النيل غربا إلى النوبة العليا إبان القرن السابع عشر والقرعان كما يقول (Kirwan) هم أحفاذ الجارامان والجارامان هم من سمي بالتمحو عند المصريين(.Kirwan (L.P.),1986,p.14)[47].

3.3. الجرميين من خلال الوثائق الإبيغرافية:

لقد بينت لنا الوثائق الإبيكرافية وصفا عن الجارامنتيون ومن أهم هذه الكتابات التي عثر عليها في مدينة سوسة (Hadramutem) هي تصف عبد جاراماني فتقول

FAEX GRAMANTARUM NOSTRUM PRICESSIT AXEM
ET PICEO GAUDET CORPOR VERNA NIGER QUEM
NISI VOX HOMINEM LABRIS EMISA
SONARAT TERRET VISU NORRIDA LAVA VIROS DIRA ?
HARUMETA TUUM VAPIANT CUSTODEM HUNC
DITIS DEBET HABERE DOMUS FECIT (Kay (N.M.), 2006, p.60.)[48].

" يأتي حثالة الجرامنتي إلى عالمنا ، ويفخر العبد الأسود بجسده الداكن ، إن لم يكن من الصوت البشري الصادر من شفتيه ، فإن هذا الشيطان بوجهه المروع سيخيف الرجال ، ويسمح لغضب من الجحيم أن يأخذ الوحش لأنفسهم بيت العالم السفلي يجب بأن يكون هذا الشخص حارسه، أنجز.".

عثر روبيفات (Rebuffat) في أحد معسكرات الليمس (بونجيم بنواحي شمالية للفزان) على نقيشة اللاتنية مكرسة في عدة كلمات هي: عبر عدد من الجارامانتس في مهمّة يسوقون حميرا (.Rebufat (R.),1979.p.226) (GARAMANTES DVCENT .ASINVS.)[49]

4.3. من خلال الفسيفساء:

كشفت لنا فسيفساء فيلا دار بوك عميرة بالقرب من زليطن جانبا مهما عن الجارامانيين على أساس أنهم من المجرمين وأسرى الضحايا المنحوسي الحظ وقد ربط كل منهما على عمود خشبي مثبت على عربة ضحيته، بينما يدفع العامل المختص بالحلبة (البستياروس) بالضحية الأخرى إتجاه أحد الوحوش (الشكل 09)، وفي منظر أخر يسحب عامل الحلبة من شعره نحو أحد الأسود لإفتراسه(أنديشة أحمد محمد،2008،ص.349.)[50] (وفي هذا الشأن يؤكد البعض أن هؤلاء الأسرى هم الجارامانيون الذين إنتصر عليهم القائد الروماني فاليريوس فوستوس (VALERIVS FVSTVS)، حيث تم تقديم أولئك الأسرى كطعام لأسود في حلبات المصارعة بمدينة لبتيس ماجنا (أنديشة أحمد محمد،2008،ص.349.)[51]، ومع ذلك يرى البعض الأخر من الباحثين مثل (Auirigemme.S.) أن أولئك الأسرى كانوا من النوميدين والذين يجرونهم هم من الجرامان حيث يظهر لنا هذا الأخير ببشرة ميالة للزرقة،أم النوميد بالبشرة السمراء الداكنة، وقد بين هذا الباحث أن النوميد تم أسرهم من طرف الرومان بعد مقتل تكفاريناس عام 24م(Auirigemma (S.),1926,p.35.)[52].

4. الجرميين من خلال المصادر الأدبية:

1.4. المصدر الإغريقي:

من المعروف أن إسم ليبيا وبعض قبائلها قد وردت في كثير من النصوص اليونانية القديمة التي ترجع بعضها لعصر مبكر جدا ، إلا أن هيرودوت المؤرخ الإغريقي[53] يعد أول من ذكر أسماء القبائل الليبية ومواقعها بشيئ كثير من التفصيل و الإسهاب من بين تلك القبائل هي الجارامان كأول تصريح من المؤرخين أو من الأثار على الإطلاق، وربما يكون قد إستقى معلوماته عنها من أحد التجار الإغريق من سكان المدن الإغريقية الخمس الذين زاروا جرمة.

ويقول هيرودوت في الجزء الرابع الفقرة 174:

" ووفق هؤلاء من جهة رياح الجنوب يقطن الجامفانتس في المنطقة المعروفة بالحيوانات البرية وليست لهم صلات مع غيرهم من الناس وليست لديهم أسلحة وهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم." (هيرودوت، الكتاب الرابع، الفقرة،174.)[54].

يرى أعشي (م.) أن هؤلاء لا يمكن أن يكونوا جارامان بل الجامفانت (Gamphasantes) لأن الجارامانيين شعب مشهور وكثير العدد ولعب دوراً كبيراً في تاريخ شمال إفريقيا ، أما الجامفانت فهم مجموعة بشرية ذكرها بومبونيوس ميلا وكانت تستوطن المنطقة الثانية معروفة باحيوانات المتوحشة وكانت تبتعد عن الإنسان ولا تستعمل السلاح بل وغير قادرة في الدفاع عن نفسها، كما يذكر هيرودوت ، ولا ندري هل هذا الكلام الصحيح أم ل؟(أعشي مصطفى،47،2009.)[55].

أم ديزانج (.J Desanges) يرى أن هذه التسمية الجامفاسنتس تتكون من ملحقين جام (Gam) و فاسنتس (Phasantes) يقصد بها الفزانيين أي بمعنى بالجارامان الفزانيين وهناك من يكتب إسمهم بالجارامان كون وهذا هو الأصوب: (Desanges (J.), [56]http://encyclopedieberbere.revues.org).

إن كان الجارامان في فزان حسب هيرودوت يجهلون إستعمال السلاح ونحن نعرف من خلال المنحوتات و النصوص الفرعونية ، أن الليبيين الشرقيين كانوا يستعملون أسلحة معدنية نحاسية وبرونزية ودروعاً متنوعة من جلود الحيوانات (أعشي مصطفى،2009،ص.47.)[57].

ويقول في الجزء الرابع الفقرة 183:

" وعلى مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة يوجد تل آخر من الملح تتوسطه عين مياه متدفقة وحولها الكثير من النخيل المثمرة على غرار الأماكن الأخرى، ويسمى الأهالي الذين يسكنون هذه الجهات بالجارامانتس، وهم أمة كبيرة من الناس، وهم يمارسون العادة التالية في الزراعة: يغطون الأرض التي تكسوها الأملاح بطبقة من التربة ثم يبذرون عليها البذور هي وسيلتهم في الزراعة.

والمسافة بين بلادهم وبلاد الوتوفاجي (أكلة اللوتس بطرابلس الأن) على أقصر ثلاثين يوماً.

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363

وهـم يقتنـون نوعـا مـن الثيران ترعى وهي تسير القهقرى (إلى الخلف) وذلك لأن قرونها الطويلة الممتدة للأمام قد تنغرز في الأرض و تمنعها من السير لأمام عند الرعي وهي تمتاز كذلك بكثافة وخشونة جلودها وفيما عدا ذلك فغنها لا تختلف عن غيرها من الثيران.

ويخرج هـؤلاء الجارامانتس في عربات تجرها أربعة من الخيول لإصطياد الأقوام المسمون بالأثيبو تروجلودي من سكان الكهوف. ويعتبر القوم الأخيرون من أسرع من نعرفهم في العدو وهم يعيشون على أكل الثعابين و الزواحف وليست لهم لغة بل أنهم يحدثون أصواتاً تشبه خفيف الخفافيش." (هيرودوت، الكتاب الرابع، الفقرة،183.).[58].

وترجع أهمية هذا النص إلى أنه أقدم نص تعرض للجارامان ، فحسب رواية هيرودوت كان الجرامان يعيشون في فزان وهي منطقة مشهورة عندهم خلال القرن الخامس قبل الميلاد وكانوا يمارسون الزراعة و الصيد بمعنة أقوام مستقرة، كما كانوا يسترقون أقواما أخرين أقل منهم في مدارج الحضارة ، وكان هؤلاء الأخيرون يسكنون الكهوف وهذا منافي لأثار الموجودة في جرمة التي تعود إلى ألف أولى ق.م، ويمكن مقارنة النص الثاني بالنص الأول حيث يستنتج سليمان أيوب السبب في التناقض بين قول المؤرخ في النص الأول أن الجارامانيون ليس لديهم أسلحة وهو عزل وأنهم لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم وبين قوله في النص الثاني أنهم يملكون عربات تجرها أربعة من الجياد وأنهم يصيدون بها العبيد التروجلودي ، لا بدّ أن المَؤرخ الإغريقي قد إلتبس عليه الأمر في النص الأول فذكر الجرامانتس بدلا أن يذكر الأثيوبو تروجلودي.

ويظهر أن الإغريق القدماء كانوا يعرفون الجارامان، ولربما كانت أساطيرهم تذكر بأنهم يرجعون بأورمتهم إلى أصل كريتي أو إلى شعوب البحر المتوسط كما ذكرنا في مقتبل هذا الفصل حسب تعبير الطاتب السكندري أبولونيوس الرودسي (Apollonis Rhodes) المولود سنة 220 ق.م تلك الرويات كانت شائعة في أيامه حين كتب في رواية أرجو[59](Argo) : (أيوب محمد سليمان،1986،ص.47.).

"... وقتل كافاراس (Caphauras) أحد بحارة السقينة أرجو المدعو كانتو (Kanto) وكان كافاراس هو أكبر أبناء فوباس ليكوس (Phoebas Leceus) من محبوبته أكاكاليس (Akakalis)، وهي نفسها إبنة الملك مينوس، ولقد نفاها والدها إلى شواطئ ليبيا عندما علم بأنها على وشك وضع مولودها الإلهي، وهناك أنجبت أكاكليس المدعو أمبليثنكس (Amplishenex) الذي أطلق عليها جاراما (Garama) ولقد أحب جراما بدوره الخنثى تريتونيا (Tretonia) وأنجب منها ناسامون (Nasamon)..." (أيوب محمد سليمان،1986،ص.47.)[60]

أما المراجع الفينيقية والقرطاجية فلم يصل إلينا منها شيئ يشير إلى العلاقات بين المدن الفينيقية لا سيما قرطاج وجرمة إلا بعض الشذرات التي وردت في كتابات الرومان والتي يظهر بأنهم نقلوها عن القرطاجيين أو التجار الفينيقيين، ولعل تدمدمير قرطاج على يد الرومان على ذلك النحو القاسي الذي يعد إحدى مآسي التاريخ قد ذهب بوثائق تلك المدينة التاريخية الكبيرة (أيوب محمد سليمان،1986،ص.47-48.)[61].

2.4. المصدر الروماني:

يعد الكتاب الرومان من أهم المصادر الرئيسية التي نستمد منها معلوماتنا عن الجارامانيين لا سيما خلال فترة الحكم الروماني للسواحل الليبية، ويعتبر المؤرخ الرواني سترابو Strabo) of Ameseae) الذي عاش بين (66 ق.م – 24 م.)، أول الكتاب الرومان الذين تحدثوا عن الجرامان، فقد سجل ذلك في سفره الكبير الذي سماه بالجغرافيا (Geographicae) مايلي:

" إننا لا نعرف شيئاً عن أغلب القبائل التي تسكن ليبيا لأن الجيوش الأجنبية أو الرحالة الأجانب قليلا ما إرتادوا البقاع الداخلية، كما وأن القليل جداً من سكان تلك الجهات هم الذين يجيئون إلى مدننا بالشاطئ، وحتى هؤلاء القلة لا يذكرون أية أخبار مفصلة عن بلادهم، وعلى أية حال فإنني أنقل المعلومات التالية رواية عنهم :

يسكن في أقصى جنوب ليبيا الأقوام المسمون باسم الأثيوبيين، وإلى الشمال منهم سكن الجرامنت، وإلى جوارهم الفاروسي (Pharusu) و الزنوج (Nigriti) وإلى الشمال منهم

يعيش الجاتولي (Gattoli)." (سترابو، الفصل السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة،19)[62]

وفي مكان أخر من نفس الكتاب يقول:

" تمتد بلاد الليبيين المنحدرين من أرومة فينيقية إلى جبال الجاتولي وفيما وراء أرض الجاتولي، وفي إتجاه موازله توجد بلاد الجارامنتين حيث يوجد ما يسمى بالحجر الكارخيدونيون (القرطاجي) (Carthagenian Stones) ويحكى بأن بلاد الجرامنت تمتد من مسافة تسعة أو عشرة أيام من بلاد الأثيوبيين الذين يعيشون على شاطئ المحيط إلى خمسة عشر يوما من معبد أمون ، وهؤلاء القوم المسمون بالجرامنت يوجدون بين الأرض الجاتولي وشواطئنا سهول كثيرة وجبال عديدة وبحيرات كبيرة وأنهار بعضها يجري تحت الأرض بجنب الواحات فالجارامنتيين معتدلون في طعامهم وزينتهم ومتقشفون جداً في حياتهم وملابسهم ، ويقتني الواحد منهم الكثير من الزوجات ولديهم الكثير من الأبناء، وفيما عدا ذلك فهم يشبهون البدو الرعاة العرب ويعني ملوكهم بتربية الخيول حتى أنهم ليقيمون سنويا حفلاً يحضره الملك ليشاهد تعشير الخيول التي تلد لهم سنوياً حوالي الألف مهر، أما الثيران لها رقاب أطول مما عليه في المناطق الأخرى ، أما الخراف عندهم فهي تغذي بالحليب واللحم خصوصاً قرب أثيوبيا، هذه هي الأحوال في المناطق الداخلية." (سترابو، الفصل السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة،02)[63].

وفي الفقرة 23 من نفس الكتاب يقول:

" ...وتكون الارض الجارامنتيين منتجة للسلفيون ضيقة وطويلة وشبه جافة ويبلغ طولها باتجاه الشرق حوالي ألف ستاديون و العرض ثلاثمائة ستاديون أو أكثر بقليل، الجزء المعروف على الأقل، يعتقدون أن كل المنطقة التي تقع على خط العرض نفسه بشكل متصل تتشابه في المناخ وانتاج النبات، ولكن طالما ان الكثيراً من الصحاري تفصل فإننا ا نعرف جميع الأماكن، للأساب نفسها تقريباً تكون الأماكن التي وراء أمون و الواحات حتى أثيوبيا مجهولة ، ولا يمكننا أن نذكر حدود أثيوبيا ولا حدود ليبيا ولا حتى المنطقة التي وراء مصر بوضوح ولا المنطقة التي قرب المحيط." (سترابو، الفصل السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة،23)[64].

ما أشعار فيرجيل الخالدة تحكي لنا عظمة الإمبراطورية الرومانية أكثر من ذكرها الجرامنتيين، رغم أبياته التالية تعتبر نظرياً جديثاً عن الجرامنتيين أنفسهم قالها عندما وصل أحفاذ طروادة إلى ليبيا هاربين من الموت:

" هذا هو الرجل الخالد الذي سمعتم عن وعد القدر به، أوغسطين العظيم و القيصر الخالد، الذي سيعيد مجد العصور الذهبية بين حقول لا تيوم، والذي سيبسط إمبراطوريته إلى ما وراء الجرامنتيين و الهنود، تمضي إلى عالم النجوم ومجرى الشمس.) (دانيلز تشالز،1974،ص.13.)[65].

ويعد ما كتبه الروماني بليني الأكبر الذي عاش ما بين (33 أو 24 م إلى 84 م) ، مرجعاً هاماً للإحتكاكات التي حدثت بين الرومان و الجرامنت خلال فترة حكم الأمبراطور الروماني – فسبازيان (Vespasian)[66] ' أيوب محمد سليمان ،156،1986.)، ويرجع إلى بلين الأقدم الفضل أيضا في سرد أخبار حملة رومانية قديمة حدثت في عهد أغسطس سنة (19 ق.م) ، ولا نعرف على وجه التحديد السبب الذي من أجله لم يذكر سترابو أنباء هذه الحملة ضمن ماذكر من أخبار الليبيين و الرومان، ولعله لم يذكر أنباء هذه الحملة إما لعدم أهميتها وإما لأن الحملة فشلت في إحتلال جرمة، وهو أمر تؤكده الحقائق الأثرية والتاريخية ويقول بلين الأقدم في كتابه التاريخ الطبيعي (Naturalis Historiae) :

" تقع بلاد الجارامنتيين على مسافة إثني عشر يوماً للغرب من واحة أوجلة." (Plinius : S / N.H / Loeb /. V - 5 .4)[67].

وفي نفس الكتاب يسرد لنا بلين أنباء الحرب التي دارت بين الجارامان و الرومان:.

"... في ذلك الإتجاه تقع أرض فزانيا (فزان) التي إستولينا عليها وفتحناها بقوة أسلحتنا إذ غزونا مدن أليلي (Alele) وكيلابا (Cillaba) وكذلك كيدانوس (Cydanus) (غدامس) الموجودة قبل صبراتة، ومن هذه النقطة تبدأ سلسلة من الجبال تمتد لمسافة طويلة من الشرق إلى الغرب،

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363 مجلد 12عدد 1 جانفي 2020 السنة الثانية عشر

ولقد أطلق عليها الرومان جبل السوداء (Ater) وذلك نسبة للونها الذي إكتسبته بفعل العوامل التكتونية أو نتيجة لإحتراقها بفعل أشعة الشمس، وخلف هذا الجبل تمتد الصحراء تقع على أطرافها الشمالية ماتلجا (Matelga) المدينة الجرامنتية ثم دبريس (Debris) حيث يوجد نبع ماء يطلق عليه ماءً ساخناً لدرجة الغليان في منتصف الليل بينما يطلق ماء في برودة الثلج في منتصف النهار، وكذلك مدينة جاراما (Garama) الشهيرة عاصمة الجارامانتيين.

لقد إستولت القوات الرومانية على كافة النواحي المذكورة، وكلل 'كورنيليوس بالوس' (Cornelius Balus) بأكاليل النصر لفوزه في تلك الغزوات فزف في عربة النصر وحصل هو وعمه بالبوس الكبير (Balbus Maximum)، على شرف (Quiritium) و حق المواطنة لأنهما لم يكونا من مواليد روما بل كانا أجنبيين من مدينة قادس " (Plinius : S / N.H / Loeb /. V - 5 .4)[68].

ومما هو جدير بالذكر أنه رغماً من أن السلطات الرسمية الرومانية لم تدون في سجلاتها الرسمية إلا أسماء المدن التي ذكرناها إلا أن بالبوس قد حمل في حفلات النصر شعارات البلاد و المدن على الترتيب التالي:-

" مدينة تابيديو (Tabidio) ، قبيلة نيتري (Niteri)، مدينة نيغي جميلة (Neghigemela)، قبيلة بابيوم (Bubeium)، قبيلة أنيبي (Enipi)، مدينة ثبن(Thuben)، جبل السوداء، مدن نيتيرن (Nitirun)، رابسا (Rapsa)، قبيلة ديسيرا (Discera)، مدينة دبريس (Debris)، وادي ناثابر(Nathabar)، مدينة تابساجو (Tapsago)، قبيلة ناناجي(Nannagi)، مدينة بون(Boin)، مدينة بجي(Pege) ، وادي داسيباري (Dasibari)، وكذلك المدن المجاورة التالية: باراكو (Baraco) وبالوبا (Baluba) و الاسي (Alasi) وبالسا (Balsa) وجولي (Goli) وماكسالا (Maxula) وزيزاما (Zizama) وجبل جيري أو غيري(Gyri) وهي التي يظهر من إسمها أن بها الأحجار الكريمة المعروفة[69].

وإلى يومنا هذا لا يوجد درب مطروق يصل ساحل البحر ببلاد الجرامنت لأن ذلك الجنس الملعون قد دأب على طمر الأبار الواقعة على الطرق المؤدية إلى بلادهم، هذا علماً بأن هذه الآبار من السهل حفرها نظراً لقرب المياه الجوفية من سطح الأرض، إلا أنها تتطلب معرفة الأماكن التي يمكن العثور فيها على المياه.

وفي خلال الحروب التي خضنا غمارها في هذه الأيام ضد أهالي مدينة أويا (Oeenses)تحت قيادة الإمبراطور فاسبازيان عثر الرومان على طريق أقصر بأربعة أيام عن الطريق المعروفة، وقد أطلق على هذا الطريق الجديد إسم الطريق الواقع خلف الرأس الصخري (Caputa Saxi)" (بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي الكتاب الخامس، الفقرة 25-27)[70]

وتظهر عناية جغرافي الرومان بتقصي أنباء البلاد المحيطة بعالمهم في مؤلفاتهم الجغرافية التي حوت الكثير من الحقائق، فنجد أن الكاتب بومبيوس ملا (Pomponius Mela) الذي ولد سنة (40م) يذكر في كتابه المدن الحضرية (De Situ Orbis) كالتالي:

" ويملك الجارامانت نوعاً من الثيران تميل برؤوسها للجنب عندما ترعى وذلك لأن قرونها الطويلة الممتدة للخارج تمنعها من أن تتجه برؤوسها مستقيمة للأرض.

وهم يعتبرون النساء متاعاً مشاعاً بينهم ويعتبرون الأبناء الذين يتوالدون من مثل هذا الجماع أبناء لأكثر الرجال الذين جامعوا أمهاتهم شبهاً" (أيوب محمد سليمان، 1986،ص.45.)[71].

ويعد بطليموس الجغرافي الذي عاش بالإسكندرية خلال القرن الثاني بعد الميلاد كم أهم الكتاب الذين تكلموا عن البلاد االواقعة في الصحراء الكبرى ومن ضمنها فزان، فقد ذكر في كتابه الجغرافيا المعلومات التالية:

" في دواحل ليبيا فيما وراء منابع سينيفس (Cinyphus) ' وادي كعام" توجد المدن التالية : فانياس (Vanias) ساباء (Saba) ' سبها' بدريم (Bedirum)، جاراما (Garama) المدينة الرئيسية..." (أيوب محمد سليمان، 1967.ص.156)[72].

ويقول أيضا في فقراته الأخرى:

" أما أسفل من أفريكي (فريقيا) وكيرينايكي (قورينائيةà فتقع صحراء يفي (ليبياء وقبائل كبيرة تسكن ليبيا، إذ تمتد قبيلة جارامانتس من منابع نهر فاغرادا حتى بحيرة نوفا (النوبة)." (بطليموس كلاوديوس، جغرافيا، الكتاب الرابع، الفصل السادس، الفقرة 5)[73].

أما تاكيتوس ذكر في كتابه التواريخ الفقرة 50 :

" ...وأثناء النزاع بين مدينتي لبتيس ماجنا وأويا، أستنجدت أويا بالجارامانتيس ضد لبتيس ماجنا، وقد لبى الجارامنتيون نداء أويا وحاصروا مدينة لبتيس ودمروا حقولها، ورغم إنسحابهم عقب تصدي القائد الروماني فستوس لهم ومحاولته إسترداد بعض الغنائم منهم، إلا أن الجارامانتيون قاموا ببيعها أثناء تراجعهم إلى موطنهم للقبائل البعيدة."(Tacitus,Histories,IV,50.)[74].

5. الخاتمة:

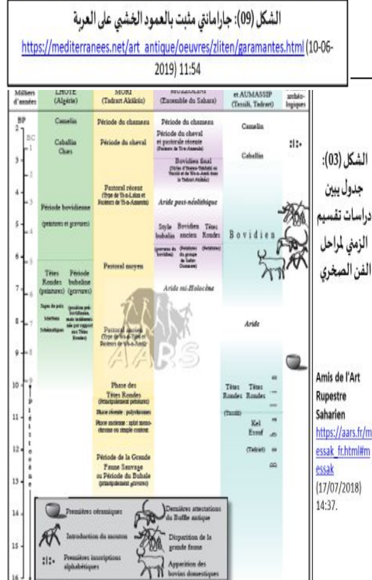
بعد إكتمال البحث توصل الباحث للنتائج التالية:

- عاش الجرميين في جنوب ليبيا وفي بيئة صحراوية وموقعاً متميزاً كان ذو أهمية إقتصادية كبيرة،سهل لهم سبل الإتصال بالشمال و الجنوب.
- إتضح لنا بأن الجرميين ذي أولى حضارة ليبية أصيلة، وقد مرت ثقافتهم بكل عصور تاريخية وهي الحجرية، والحديثة من خلال صيد الحيونات وإنتاج الأرض الزراعية وفجرية من خلال الجبانات الجنائزية، والتاريخية مايستنطق له أيضاً من الأثار والمصادر الأدبية.
- كشفت لنا الأبحاث الأثرية أن الجرميين نجحوا في تعبير عن ثقافتهم عبر أطوار الفن الصخري من الحياة الدينية و الأجتماعية وفي الفترة التاريخية أنجزوا نظام متقدم في الري وهو نظام الفجارات.
- كان للجرميين علاقة وطيدة مع جيرانهم من القبائل الليبية ، كما وجدت علاقات الخارجية مع المصريين حينما ذكرتهم النصوص غالبا بالعداء، كما كانت لهم روابط بكل ما يسيطر على الساحل الليبي فاتسمت علاقتهم بالقرطاجين في المدن الثلاث بكونها ودية سلمية، كما ذكرت لنا المصادر أن للجرميين علاقات مباشرة مع الإغريق في مدنهم الخمس على الساحل الليبي.
- لقد وثقت لنا المصادر الآثرية والأدبية مدى إزدهار جرمة على كافة الأصعدة فكان لهم نظام حكم ملكي وحياة تجربة رعوية زراعية تطورت بموجبه حياتهم الإقتصادية، ونظام إجتماعي أساسه الأسرة و حياة دينية.
- إهتمام المؤرخين الرومان بالجرميين هو دليل على قوتهم السياسية والعسكرية.

7. ملاحق:

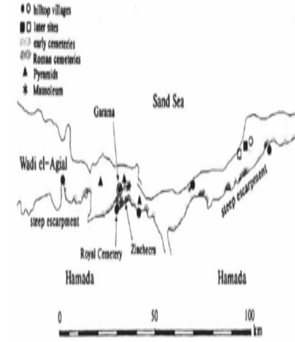


الشكل (09): جارامانتي مثبت بالعمود الخشبي على العربة
https://mediterranees.net/art_antique/oeuvres/zliten/garamantes.html (10-06-2019) 11:54



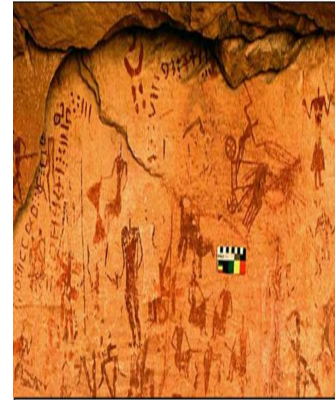
الشكل (03): جدول بين دراسات تقسيم الزمني لمراحل الفن الصخري
Amis de l'Art Rupestre Saharien https://aars.fr/m essak_fr.html#m essak (17/07/2018) 14:37.

ISSN: 1112- 9751 / EISSN: 2253-0363



الشكل (02): المو اقع الجرمية على ضفاف وادي الأجيال

Trousset(P.) Despois, (J.) ,Gauthier(Y.) ,Gauthier(Ch.) et E.B., « Fezzân », in Gabriel Camps (dir.), *18 / Escargotière – Figuig*, Aix-en-Provence, Edisud (« Volumes », no 18) , 1997 [En ligne], mis en ligne le 24 février 2012, consulté le 01 février 2017. URL : http://encyclopedieberbere.revues.org/2083



الشكل (06): مشهد من تيناوين بفزان يبين العربة وكتابة التيفناغ في المرحلة الأولية

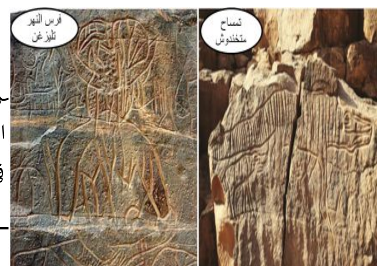
Amis de l'Art Rupestre Saharien (01/06/2019) 14:07

https://aars.fr/images/tinanneuin_3_2.jpg

. **الهوامش:**

[1] الزدام نجلاء عبد الله، **الجرامنت وعلاقاتهم السياسية والتجارية مع المدن الساحلية خلال العصر الروماني**، مذكرة ماجستير، كلية الأداب والعلوم جامعة مرقب، زليتن،2009،ص.07.

[2] أيوب محمد سليمان، **مختصر تاريخ فزان منذ أقدم العصور حتى 811**



[3]الزد

[4] وت ...ر من الكفرة إلى
غات ... المملكة، وأوباري
bris) ... في وادي لآجال.

للمزيد...يراجع: عبد اللطيف البرغوثي **التاريخ الليبي القديم**، دار صادر، بيروت، دت، ص.38.).

[5] الزدام نجلاء عبد الله، المرجع السابق،ص.08.

[6] الديناصوري جمال الدين ، **جغرافية فزان،دار ليبيا للنشر والتوزيع،ب.ت**،ص.61.

[7] الزدام نجلاء عبد الله، المرجع السابق،ص.09.

[8] أيوب محمد سليمان، **جرمة**...،المرجع السابق،ص.12

[9] هيرودوت، **التاريخ**،ج4، ترجمة وتعليق مصطفى الأعشي، منشورات المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، مركز الدراسات التاريخية والبيئية، الرباط، 2008، الفقرة 183.

[10] نفسه، الفقرة،184.

[11] نفسه، الفقرة 183.

[12]سترابون، **الجغرافيا**، الكتاب السابع عشر،ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس،بنغازي،2003، الفصل الثالث، الفقرة 19.

[13] أيوب محمد سليمان، مرجع سابق،ص.67.

[14] جرزيوري باول ، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، دليل الفن الصخري في الصحراء الليبية، ترجمة إبراهيم أحمد إمحمد المهداوي،منشورات جامعة قاريونس، ط 1 ، 2008، بنغازي، ليبيا،ص18.

[15]أيوب محمد سليمان، مرجع سابق،ص.67-68.

[16] نفسه،ص.91.

[17] نفسه،ص.91.

[18] أعشي مصطفى، الأحاديث...، المرجع السابق،ص.62..

[19] Desanges (J.), « Garamantes », in Gabriel Camps (dir.), *19* / (« Volumes », no 19) , *Filage – Gastel*, Aix-en-Provence, Edisud 1998 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 février 2017. URL :

http://encyclopedieberbere.revues.org/1993.

[20] Rebufat (R.), « **La frontière romaine en Afrique : Tripolitaine et Tingitane** », *Ktéma,* 1979, 4, Pp. 226-233,p.226.

[21] Camps (G.), « **Les Gramantes, Conducteurs de Chars Et Batisseurs dans le fezzan antique** »,2002, https://www.clio.fr/BIBLIOTHEQUE/les_garamantes_conducteurs_de_chars_et_bAtisseurs_dans_le_fezzan_antique.asp

[22] أعشي مصطفى، المرجع السابق،ص.62.

[23] تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ترجمة أحمد اليازوري، دار الفرجاني، طرابلس،1974،ص.08.

[24] أيوب محمد سليمان، مرجع سابق،ص.131.

[25] نفسه،ص.38-39.

[26] الحجازي عبد الناصر ، مناقشة الآراء التي قيلت في الجرمنت، مجلة آثار العرب،العدد الأول،1990،ص.64.

[27] نفسه،ص.64-66.

[28] مراجع حسين عبد العالي ، العلاقات الليبية الفرعونية منذ عصر ماقبل الأسرات وحتى بداية حكم الليبين لمصر، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ القديم،قسم الدراسات التاريخية و الآثرية، كلية الآداب والتربية، جامعة قاريونس، الجماهرية العربية الليبية الششعبية الإشتراكية،ب.ت،ص.35.

[29] أيوب محمد سليمان، جرمة من تاريخ ...المرجع السابق،ص.65.

[30] يرجع الفضل إلى الدارسين الأيطاليين في مسألة رصد الدراسات الفن الصخري ومايتصل به من أدوار حاءت على أسس منهجية، من خلال نا أوفد من بعثات حققت نتائج عالية.

[31] جرزيوري باول ، المرجع نفسه،ص.35.

[32] نفسه،ص.35.

[33] العقون أم الخير، العلاقة الحضارية و السياسية بين مصر وشمال إفريقيا (منذ أقدم العصور حتى نهاية الألف الثاني قبل الميلاد)، رسالة ماجستير في التاريخ القديم نوقشت بجامعة الإسكندرية،1988،ص. 112.

[34] جرزيوري باول ، المرجع نفسه،ص.42.

[35] يعتبر فابريزيو موري (Mori.F) أن هذه المرحلة تتضمن نقوش ورسومات ، بينما يقول هنري لوط أن الرؤوس المستديرة لا تتضمن إلا رسوما للمزيد يراجع: (Lhote (H.), Les gravures rupestres de l'atlas saharien monts des ouled nail et rgion de djelfa,Algérie, Office du parc national du tassili,1984,pp.257-259.).

[36] فابريزيو موري، تدرارات أكاكوس – الفن الصخري وثقافة الصحراء ماقبل التاريخ، منشورات مركز جهاد الليبين،1988،ص.92.

[37] بن بوزيد لخضر، الأثر الديني في مشاهد الرسوم الصخرية لمنطقة الطاسيلي – أجر خلال مرحلة ذوي الرؤوس المستديرة (8000 ق.م-2500 ق.م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر،2009-2010 ،ص.18.

[38] Muzzolini (A.), Masques et thromophes dans l'art rupestre du Sahara centrak, archeonil,1991,p.43.

[39] أيوب محمد سليمان،المرجع السابق،ص.79.

[40] العقون أم الخير، المرجع السابق،ص.112.

[41] جرزيوري باول ، المرجع نفسه،ص.63.

[42] نفسه،ص.59.

[43] كامبس غابريال، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة حزال عبد الرحيم، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،2014،ص.104.

[44] صالح عبد العزيز، حضارة مصر القديمة وآثارها، الجزء الأول، القاهرة،196،ص.191.

[45] مصطفى عبد السليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، بنغازي،1966،ص.09.

[46] Camps (G.), " Avertissement " *in Encyclopédie berbère, 1 | Abadir – Acridophagie [En ligne], mis en ligne le 01 septembre 1989, consulté le 05 juin 2019. URL : http://journals.openedition.org/encyclopedieberbere/765*

[47]Kirwan (P.L.), Expeditions to the upper Nille and the chad Darfur region Libya in history University of Libya of art, Bengazi,1986,p.257.,,p.141.

[48] Kay (N.M.), Epigrams from the anthologia latina, text, translation and commentary, first publishe, london,2006,p.60.

[49] Rebufat (R.)., « **La frontière romaine en Afrique : Tripolitaine et Tingitane** », *Ktéma,* 1979, 4,Pp. 226-233,p.226.

[50] أنديشة أحمد محمد، الحياة الإجتماعية في المرافئ الليبية وظهيرها في ظل السيطرة الرومانية، ط1، جامعة التحدي،سرت ليبيا، 2008،ص.349.

[51] نفسه،ص.349.

[52] Auirigemma (S.), Imosici Di Zliten , Africa Italiana,Vol,2,1926,p.35.

[53] هذا المؤرخ الذي عاش خلال القرن الخامس قبل الميلاد قد زار عدداً كبيراً من الأقطار ويظهر من كتبه الخمس أنه كان ملما بأحوال عالمه، ومن المحتمل أن يكون هيرودوت قد زار برقة جيث كانت تقوم في أيامه خمس مدن إغريقية كبرى أنشأها المستعمرون اليونان في الأراضي الليبية، وكانت علاقة الليبين و الإغريق الساكنين بتلك المدن علاقات سلام أحيانا وعلاقات حرب أحيانا أخرى ، وكانت القوافل تفد من الداخل المواد الأولية وتطلع التجار الإغريق إلى معرفة أخبار وجغرافية البلاد الواقعة في وسط الصحراء الليبية وخلفها من بينها جرمة التي إستقى منهم هيرودوت معلومات قيمة عنها...للمزيد يراجع : أيوب محمد سليمان،المرجع السابق،ص.45.

[54] هيرودوت ، تاريخ هيرودوت، الكتاب الرابع، ترجمة أعشي مصطفى، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط،2009،الفقرة 174.

[55] أعشي مصطفى، هيرودوت يتحدث عن الليبيين (الأمازيغ)، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط، 2009، ص.47.

[56] Desanges (J.) « Garamantes », in Gabriel Camps (dir.), *19* / (« Volumes », no 19) , *Filage – Gastel*, Aix-en-Provence, Edisud 1998 [En ligne], mis en ligne le 01 juin 2011, consulté le 02 http://encyclopedieberbere.revues.org/1993 février 2017. URL :

[57] أعشي مصطفى، المرجع السابق،ص.47.

[58] هيرودوت، المصدر السابق، الفقرة 183،ص62.

[59] أيوب محمد سليمان،المرجع السابق،ص. 47.

[60] نفسه،ص.47.

[61] نفسه،ص.47-48.

[62] سترابون ، الكتاب السابع عشر، الفصل الثالث، الفقرة 19، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي،19،2003.،ص.41.

[63] نفسه، الفقرة 2.

[64] نفسه، الفقرة 23.

[65] دانيلز تشالز، مرجع سابق، ص.13.

[66] أيوب محمد سليمان، جرمة ...المرجع السابق،ص.156.

[67] Plinius : S / N.H / Loeb /. V - 5 .4

[68] Ibid,V.5.5.

[69] هناك مجموعة كبيرة من الأسماء التي لم يتعرف عليها حتى وقتنا الحاضر بعضها لأسماء مناطق و الأخرى لأسماء أنهار وقد كانت فترة الحملة التي قام بها الرومان بقيادة بالبوس في العام 19 ق.م أكبر فترى توثيق للمناطق الجنوبية من ليبيا وقد نقل لنا بلين الأقدم هذه المعلومات في فترة حيااته مابين (23-29م)...للمزيد يراجع: أيوب محمدسليمان، حملة كورنيليوس بالبوس، ليبيا في التاريخ القديم، منشورات الجامعة الليبية،1968،ص.157.

[70] بليني الأكبر، التاريخ الطبيعي الكتاب الخامس، الفقرة 25-27 ، ترجمة محمد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس،2004.ص.31.

[71] أيوب محمد سليمان، جرمة ...المرجع السابق،ص.45.

[72] أيوب محمد سليمان، حملة كورنيليوس...،المرجع السابق،ص.156.

[73] بطليموس كلاوديوس، جغرافيا، الكتاب الرابع، الفصل السادس، الفقرة 5،ترجمة محمدد المبروك الدويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا 2002،ص.91.

[74] Tacitus,Histories,IV,50.